



مباحثة السَّيِّئَةِ فِي الطَّبِّ وَالْأَقْلَامِ



أَبُو الْقَاسِمِ الرَّهْرَوِيُّ



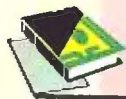
تأليف

فوزي خنجر

الطبعة الأولى

نشر في دار

دار عبد القادر



مَجْلَدُ السَّيَرَةِ فِي الرَّبِّ وَالْإِيمَانِ



أَبُو الْقَاسِمِ الزَّهْرَاوِيُّ



كتب عربي
(شراء) مكتبة الإسكندرية
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

رقم التسجيل ٦٥٢٤١

مكتبة الإسكندرية
مكتبة الإسكندرية

مكتبة الإسكندرية

مكتبة الإسكندرية

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

الناشر : مكتبة ومطبعة العد

العنوان : ٢٣ ش سكة المدينة - ناهيا - إمبابية - جيزة

تليفون : ٣٢٥٠٢٠٢

رقم الإيداع : ٩٩ / ٨٣١٠

التسجيل الدولي : 8 - 28 - 5819 - 977

رسم وإخراج نص : ماهر عبد القادر

خطوط : مصطفى عمري

مراجعة لغوية : حمزة عبد المنعم الزمر

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظة

الطبعة الأولى : صفر ١٤٢٠ هـ - يونيو ١٩٩٩ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَارَ الْفَتَى أَبُو الْقَاسِمِ
خَلْفَ ابْنِ عَبَّاسٍ الزَّهْرَاوِيَّ فِي
حَدِيقَةِ مَدِينَةِ الزَّهْرَاءِ ،
الْقَرْيَةِ مِنْ قَرْطَبَةِ عَاصِمَةِ بِلَادِ
الْأَنْدَلُسِ (الَّتِي هِيَ أَسْبَانِيَا
الْآن) وَنَظَرَ إِلَى الْأَشْجَارِ
وَالْأَزْهَارِ وَالطُّيُورِ ، يَتَأَمَّلُهَا
وَهُوَ يَتَفَكَّرُ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ - عَزَّ
وَجَلَّ - فِي خَلْقِ كُلِّ مَا فِي
الْحَيَاةِ ، كَانَ عُمَرُ الزَّهْرَاوِيُّ
أَتَدَاكَ خَمْسَةَ عَشَرَ عَامًا ، فَهُوَ
مِنْ مَوَالِيدِ سَنَةِ (٣٢٤)
ثَلَاثِمِائَةٍ وَأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ
هَجْرِيَةِ الْمَوَاقِفَةِ (٩٣٦) مِيلَادِيَّةٍ ،
وَكَانَ يَشْغَلُهُ كُلُّ مَا يَرَاهُ ،





تَعَجَّبَ مِنْ أَشْكَالِ الْأَشْجَارِ
الْمُخْتَلِفَةِ ، وَمِنْ أَلْوَانِ الْأَزْهَارِ
الْمُتَوَعَّةِ ، وَمِنْ تَغْرِيدِ الطُّيُورِ
الْجَمِيلَةِ .

لَكِنَّ تَفْكِيرَهُ عَادَ بِهِ سَرِيعًا
إِلَى الْمَوْضُوعِ الرَّئِيسِيِّ الَّذِي
يَشْغُلُ بَالَهُ ، أَلَا وَهُوَ جِسْمُ
الْإِنْسَانِ ، وَرَأَى أَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - تَتَجَلَّى
فِي ذَلِكَ الْجِسْمِ الْعَجِيبِ .
إِنَّ فِيهِ أَشْيَاءَ مَذْهَلَةً حَقًّا ...
الْعَيْنُ الَّتِي تَرَى ، وَالْأُذُنُ الَّتِي
تَسْمَعُ ، وَالْأَنْفُ الَّتِي يَشُمُّ ،
وَالْحَلْقُ وَالْمَعْدَةُ ، الْبِضْنُ
وَالظَّهْرُ ، وَالرَّأْسُ ، وَالْيَدَانِ
وَالْقَدَمَانِ ، إِنَّ كُلَّ عَضْوٍ مِنْ





أَعْضَاءُ جِسْمِ الْإِنْسَانِ يَتَكَوَّنُ
مِنْ جُزْئِيَّاتٍ صَغِيرَةٍ كَثِيرَةٍ ،
تُعِينُهُ عَلَى آدَاءِ عَمَلِهِ وَالْقِيَامِ
بِوُظُفِيَّتِهِ .

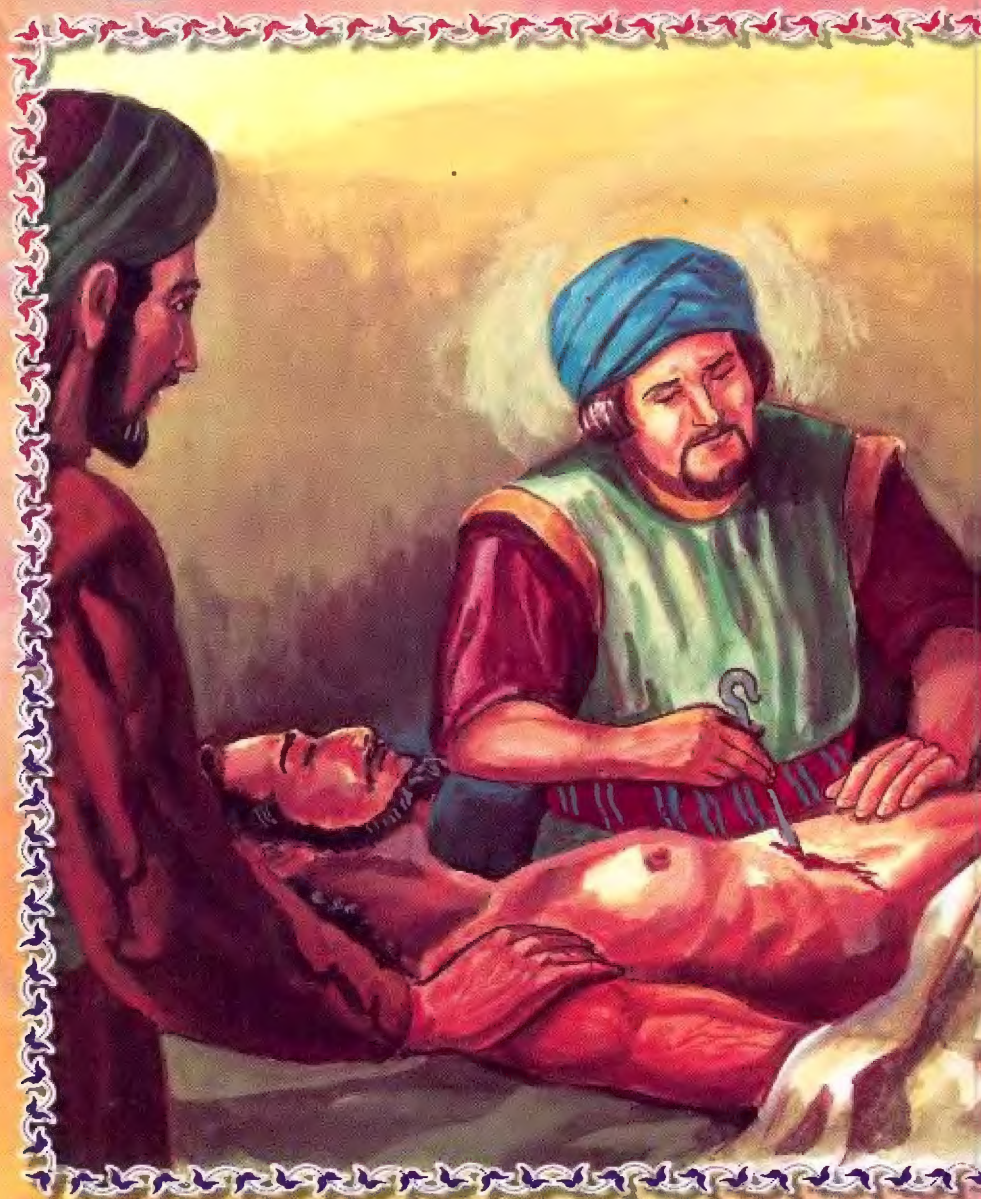
كَبُرَ الزَّهْرَاوِيُّ . . . وَدَرَسَ
الطَّبَّ وَالصَّيْدَلَةَ ، وَعَمَلَ فِي
الْمَجَالِ الَّذِي يَهْتَمُّ بِهِ ، وَهُوَ
جِسْمُ الْإِنْسَانِ ، وَأَرَادَ أَنْ
يَعْرِفَ خَبَايَا هَذَا الْجِسْمِ
الْعَجِيبِ فَدَرَسَ التَّشْرِيحَ
دِرَاسَةً مُتَعَمِّقَةً ، وَانْتَقَلَ إِلَى
قَرْطَبَةِ الْعَاصِمَةِ حَيْثُ عَمَلَ
فِي الْمُسْتَشْفَى الْكَبِيرِ هُنَاكَ ،
وَرَأَى حَالَاتَ مَرَضِيَّةٍ مُتَوَّعَةٍ ،
وَوَجَدَ أَنَّ بَعْضَهَا يَحْتَاجُ إِلَى
إِجْرَاءِ عَمَلِيَّاتٍ جِرَاحِيَّةٍ ،
حَتَّى يَتِمَّ الشِّفَاءُ بِإِذْنِ اللَّهِ .





حِينَذَاكَ بَدَأَ اهْتِمَامُ الزَّهْرَاوِيِّ
بِالْجِرَاحَةِ ، فَدَرَسَ الْعَمَلِيَّاتِ
الَّتِي أَجْرَاهَا الْأَطْبَاءُ قَبْلَهُ عَلَى
مَرِّ الْعُصُورِ ، فَوَجَدَ أَنَّهَا
كَانَتْ تُجْرَى بِطَرِيقَةٍ بَدَائِيَّةٍ ،
تُعَرِّضُ الْمَرِيضَ لِكَثِيرٍ مِنْ
الْآلَامِ وَكَثِيرٍ مِنَ الْمُضَاعَفَاتِ
الَّتِي تُوَدَّى إِلَى فَشْلِهَا فِي
مُعْظَمِ الْحَالَاتِ ، وَوَجَدَ أَنَّ
الْأَطْبَاءَ كَانُوا فِي حَاجَةٍ إِلَى
كَثِيرٍ مِنَ الْأَلَاتِ وَالْأَدَوَاتِ
الْجِرَاحِيَّةِ ، لِذَلِكَ قَرَّرَ
الزَّهْرَاوِيُّ أَمْرَيْنِ ، أَوَّلُهُمَا :
أَنْ يَجْتَهِدَ فِي اخْتِرَاعِ آلَاتِ
جِرَاحِيَّةٍ تُعِينُ الطَّيِّبَ عَلَى
إِجْرَاءِ الْعَمَلِيَّاتِ الْمُخْتَلِفَةِ ،







وثانيهما : أن يُؤلف كتاباً يَشْتَمِلُ على
جزءٍ نظريٍّ في الطب ، وعلى جزءٍ آخرٍ عن الجراحة التي كانوا
يُسَمُّونها (عمل اليد) ، يذكُرُ فيه العمليات الجراحية التي
ينوي إجراءها .

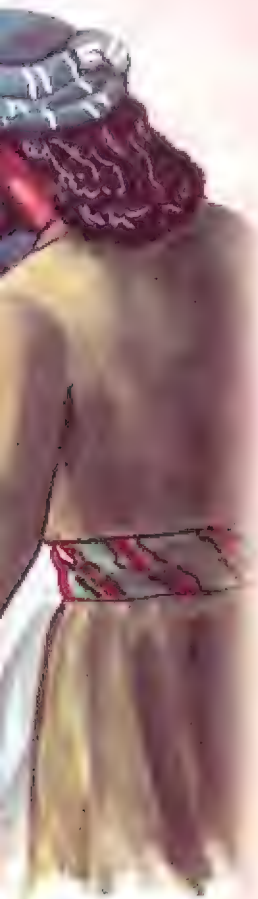
ورأى الزهراوى أن أى طبيبٍ بارعٍ يَسْتَطِيعُ أن يَصِفَ دواءً
لَمَرِيضٍ ما ، وَلَكِنْ هُنَاكَ حَالَاتٌ لَا يَصْلُحُ فِيهَا الدَّواءُ . وإلّا
تَسْتَلْزِمُ أن يَقُومَ الطَّيِّبُ بِفَتْحِ بَطْنِ المَرِيضِ ، مِثْلَ الخُرَاجِ
الَّذِي يُصِيبُ الكَبِدَ . وَالْحَصَى الَّذِي يَتَكَوَّنُ فِي المَثَانَةِ وَغَيْرِ
ذَلِكَ مِنَ الإصاباتِ المُخْتَلِفَةِ ، لِهَذَا قَرَأَ الزهراوى أن يَجْتَهِدَ في
اِفْتِحَامِ مَجَالِ الجِرَاحَةِ ، مُتَسَلِّحاً بِالْعِلْمِ الوَافِرِ والدَّقَّةِ المُتَنَاهِيَةِ
وَالرَّغْبَةِ الجارِفَةِ في التَّخْفِيفِ عَنِ المَرَضَى .

وبَدَأَتْ سِلْسِلَةُ مِنَ العَمَلِيَّاتِ الجِرَاحِيَّةِ ، أَصَابَتْ الأَطْبَاءَ
بِذَهْوُلٍ مِنْ دَقَّةِ الزَّهْرَاوِيِّ فِي إِجْرَاءِ كُلِّ عَمَلِيَّةٍ تَصْدُقُ
لِإِجْرَائِهَا ، وَعَمَّتِ الفَرَحَةُ قُلُوبَ المَرَضَى وَقُلُوبَ أَهْلِيهِمْ ، فَقَدْ
خَفَّفَ مُعَانَاتِهِمْ وَالْأَمَهِم .





عَادَ الزَّهْرَاوِيُّ إِلَى مَدِينَةِ
 الزَّهْرَاءِ ، فَعَمَلَ فِي الْمُسْتَشْفَى
 الْمَوْجُودِ بِهَا ، وَسَعَى النَّاسُ
 إِلَيْهِ مِنْ كَافَّةِ الْأَرْجَاءِ ، إِذِ
 امْتَدَّتْ شَهْرَتُهُ إِلَى الْبِلَادِ
 الْمُخْتَلَفَةِ ، وَجَاءَ طُلَابُ الْعِلْمِ
 مِنْ بُلْدَانِ الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ
 لِيَكُونُوا تَلَامِيذًا لَهُ ، كَمَا جَاءَ
 إِلَيْهِ طُلَابُ الْعِلْمِ مِنْ أُورُوبَا ،
 فَقَدْ كَانَ أَكْبَرَ الْجُرَاحِينَ فِي
 عَصْرِهِ ، وَكَانَ فُقَهَاءُ الْأَنْدَلُسِ
 يَقْبَلُونَ الْجِرَاحَةَ بِتَحَقُّظٍ شَدِيدٍ ،
 بَيْنَمَا كَانَ الْأُورُوبِيُّونَ يُحَرِّمُونَ
 إِجْرَاءَ الْعَمَلِيَّاتِ الْجِرَاحِيَّةِ ،
 وَكَانَ الزَّهْرَاوِيُّ صَاحِبَ الْمَكَانَةِ
 الْعُلْيَا فِي هَذَا الْمَجَالِ فِي
 الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ شَرْقِهِ وَغَرْبِهِ .







ومع ذلك لم يكن يلجأ إلى الجراحة إلا إذا عجزت العقاقير الطبية عن العلاج ، وكان الزهراوى يُحذّر الأطباء من إجراء العمليات الجراحية ، إلا إذا كانوا عارفين بصغائر الأمور وكبائرها فى استعمال الآلات الجراحية ، مع علمهم بالتشريح ، لأن الخطأ فى الجراحة يصعب علاجه ، وأحياناً يستحيل .

وقد طور الزهراوى الآلات الجراحية المصنوعة من الحديد والذهب والفضة ، واخترع آلات لم تزل مستخدمة إلى يومنا هذا ، لم يزد عليها العلماء شيئاً مثل خافض اللسان ، وقد استعمل خيوط الحرير للربط فى العمليات الجراحية ، وتحدد (د . زيجريد هونكة) الألمانية إنجازات الزهراوى فى كتابها «شمس العرب تنطع على الغرب » فتقول :

درس الزهراوى تشوهات النجم والفك ، واستنصال الأورام اللببية فى الأغشية المخاطية ، ونجح فى عملية شق القصبة الهوائية - التى تُقَدُّ حياة مريض (الدفتيريا) ووفق فى إيقاف نزيف الدم بربط الشرايين الكبيرة ، وهو فتح علمى كبير ادعى تحقيقه لأول مرة الجراح الفرنسى الشهير (بارى) ، فى حين



أَنَّ الزهراوى حَقَّقَهُ وَعَلَّمَهُ قَبْلَ ذَلِكَ بِحَوَالَى (٦٠٠) سَنَةً ،
كَمَا أَنَّهُ عَلَّمَ تَلَامِيذَهُ كَيْفِيَّةَ تَخْيِيطِ الْجُرُوحِ بِشَكْلِ دَاخِلِيٍّ ، لَا
يَتْرُكُ شَيْئًا مَرْتَبًا مِنْهَا ، وَعَلَّمَهُم كَيْفِيَّةَ التَّخْيِيطِ بِإِبْرَتَيْنِ وَخَيْطٍ
وَاحِدٍ مُثَبَّتٍ بِهِمَا ، وَاسْتَعْمَلَ الْخِيُوطَ الْمُسْتَمَدَّةَ مِنْ أَمْعَاءِ
الْقِطْطِ فِي جَرَاحَاتِ أَمْعَاءِ الْإِنْسَانِ ، وَقَدْ أَوْصَى فِي كُلِّ
الْعَمَلِيَّاتِ الْجَرَاحِيَّةِ فِي الْجِزْءِ الْأَسْفَلِ مِنَ الْإِنْسَانِ أَنْ يُرْفَعَ
الْحَوْضُ وَالْأَرْجُلُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ اقْتِبَسَتْهَا أُرُوبَا
مُبَاشَرَةً عَنِ الزُّهْرَاوِيِّ الْجَرَّاحِ الْعَرَبِيِّ ، وَلَمْ تَزَلْ مُسْتَحْدَمَةً حَتَّى
يَوْمِنَا هَذَا ، وَعُرِفَتْ بِاسْمِ الْجَرَّاحِ الْأَلْمَانِيِّ الْقَدِيرِ (لِينْبُورْجِ)
دُونَ أَنْ تَذْكُرَ أَفْضَالَ الْجَرَّاحِ الْعَرَبِيِّ ، وَعَنِ الزُّهْرَاوِيِّ أَيْضًا
أَخَذْنَا طَرِيقَةَ تَرْكِ فَتْحَةِ فِي رِبَاطِ الْجَبَسِ فِي الْكُسُورِ الْمَفْتُوحَةِ ،
وَأَمَدَّ الْجَرَاحِيْنَ وَأَطْبَاءَ الْعَيُونِ وَالْأَسْنَانِ الْأُورُوبِيِّينَ بِالْأَلَاتِ
الْلازِمَةِ لِلْعَمَلِيَّاتِ ، بِوَاسِطَةِ الرُّسُومِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي وَصَفَهَا فِي
كِتَابِهِ الَّذِي أَسْمَاهُ : " التَّصْرِيفُ لِمَنْ عَجَزَ عَنِ التَّأْلِيفِ " .

هَكَذَا يَنْظُرُ الْعُلَمَاءُ الْعَالَمِيُّونَ إِلَى الزُّهْرَاوِيِّ عَبَقَرِيَّ
الْجَرَاحَةِ ، الَّذِي أَصَحَّحَ أَسْتَاذًا لِعُلَمَاءِ أُرُوبَا - مِنْ خِلَالِ كِتَابِهِ -
لِمُدَّةِ خَمْسَةِ قُرُونٍ ، كَانَ أَثْنَاءَهَا هُوَ الْكِتَابُ الْمَعْتَمَدُ فِي مَجَالِ



الجراحة ، لسهولة أسلوبه ، وكثرة رسومه للآلات التي
تُستخدم في العمليات الجراحية .

من الأمور المدهشة أنَّ أبا القاسم الزهراوى قد أجرى
عمليات في مجال جراحة التجميل ، التي يعتقد كثير من
الناس أنَّها من العمليات الحديثة ، وإنَّ دَلَّ هذا على شيء فإنما
يدلُّ على عبقرية الزهراوى ، وأنه كان سابقاً لعصره ، وكل
هذه الإنجازات العظيمة وغيرها ، ضمَّها كتابه « التصريف لمن
عجز عن التأليف » الذي يقع في ثلاثين جزءاً ، وتمَّت
ترجمته إلى كثير من اللغات .

لقد كان الزهراوى صاحب فكر جديد ، فهو الذى جعل من
الجراحة فرعاً طبياً ذا مكانة سامية بين فروع الطب ، وهو
واضع الأسس الحديثة لهذا العلم ، لذلك أطلقوا عليه فى العلم
كله لقب : (أبو الجراحة) ، ولم يكن باستطاعة الزهراوى
تحقيق كل هذه الإنجازات دون اجتهاد وصبر وإقدام ، وإيمان
عميق بقُدرة الله - عزَّ وجلَّ - فى خلقه ، إذ كان دائم التفكير
فى خلق الله سبحانه وتعالى .

عجالة المسلمين في الذهب

- ١- ابن سينا
- ٢- أبو بكر الرازي
- ٣- أبو القاسم الزهراوي
- ٤- ابن النفيس
- ٥- الأهمـوازي
- ٦- عبد اللطيف البغدادي
- ٧- أبو مروان بن زهر
- ٨- أبو بكر الحفـيد
- ٩- ابن رضوان المـطـ
- ١٠- ابن أبي أصـ



طباعة - نشر - توزيع

٢٣ شارع مكة الحرة - القاهرة - الجاهلية - مصر - ١١٥٠٠٢٠٠٠